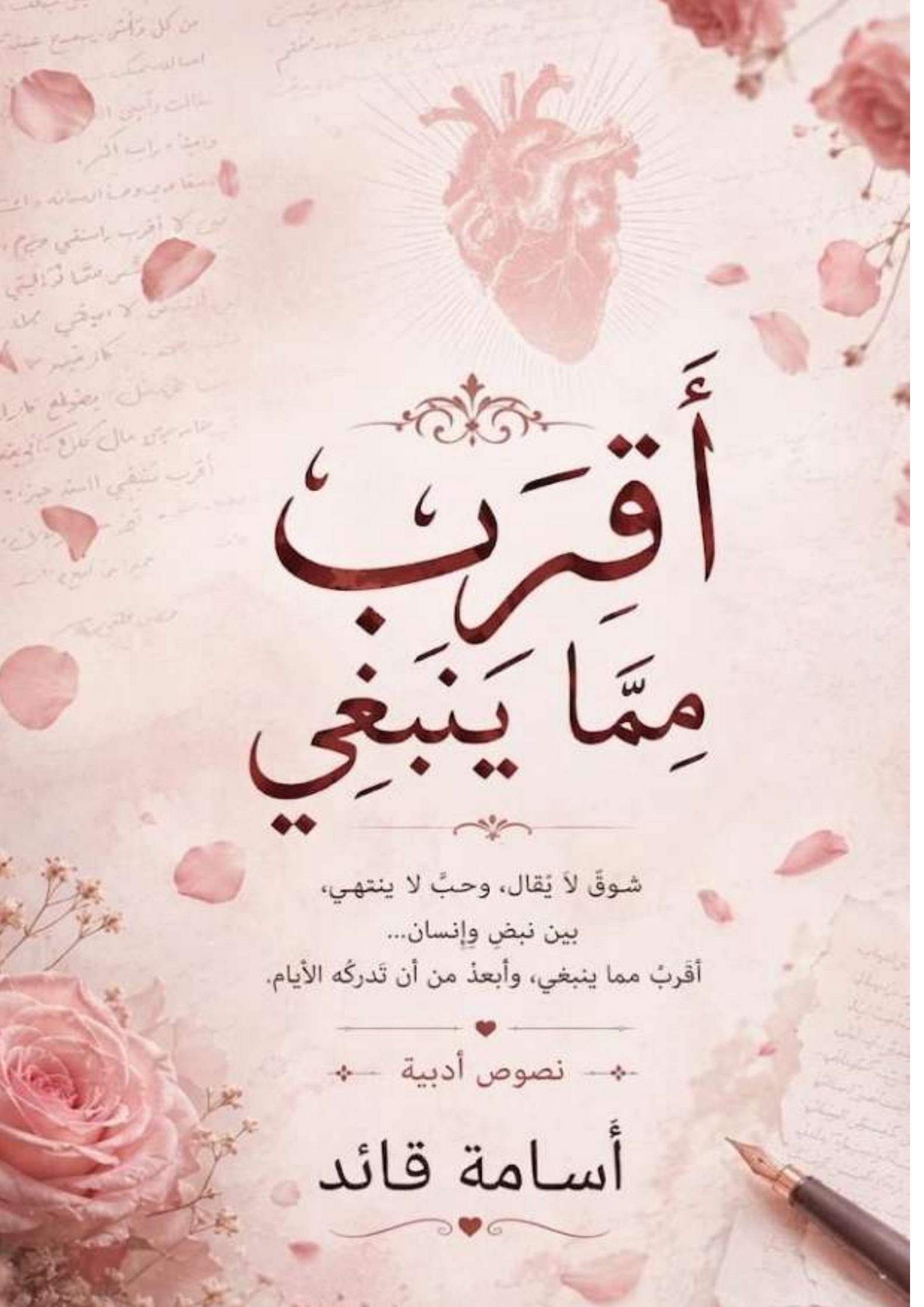

أقرب مما ينبغي

شوقٌ لا يُقال، وحبٌ لا ينتهي،
بين نبضٍ وإنسان...
أقربُ مما ينبغي، وأبعدُ من أن تدركُه الأيام.

نصوص أدبية

أسامة قائد

أَقْرَبُ مِمَّا يَنْبَغِي

نُصُوصٌ أَدَبِيَّةٌ

أُسَامَةُ قَائِدُ عَبْدِاللهِ

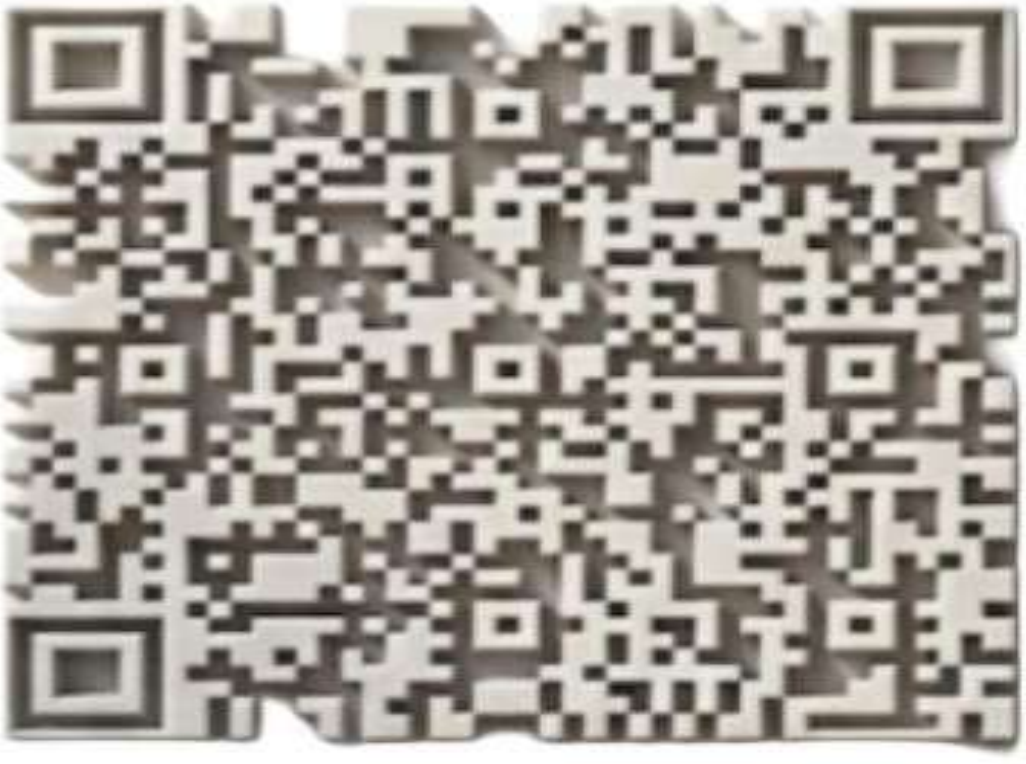

الإهداء

إلى من كان طيفهُ حاضراً في كل غياب، وخطوته فاصلة بين الشك واليقين..

إلى ذلك النبض الإضافي الذي سكن أضلعي، فجعل من الغربة وطنـاً، ومن المسافة الآمنة وهماً نتجاوزه بشغف.

إلى من كنا معه أقرب مما ينبغي، فصرنا في حضرته نكتشف ذواتنا المفقودة في زحام الأيام.

إلى "أمي"، محراب الطمأنينة، وملاذ الروح التي تبني من هدم المخاوف مأوى، والسر الذي يجعل من انطفائي وقوداً لتوهجي.

وإلى كل روح حائرة وقفت في منتصف الطريق، تبحث عن الغريق وهي الحريق..

إلى كل قلب تذوق مرارة البعد في القرب، وحلاوة الوصل في الخيال في الخيال..

إلى الذين يكتبون بالصمت ما عجز عنه القلم..

أهدي هذه النصوص.. قطعة من الروح، وزفرة من حبر ذاب في محراب الأشواق.

مقدمة:

بين دفتي هذا الكتاب، أنت لا تقرأ مجرد نصـــوص أدبية عابرة، بل تعبر "برزخاً" من المشاعر الإنسانية العميقة والمتناقضة. "أقرب مما ينبغي" هي رحلة محفوفة بالشغف في عمق النفس البشـــرية، حين تتأرجح أرواحنا بين جنون الحضـــور ووجع الغياب، وحين يصبح الحب طباقاً لا يفهمه إلا من ابتُلي بجمع الضدين؛ يبتسم للناس ويبكي في الوقت ذاته.

هنا، تتحدث لغة الصمت البليغ، وتتجسد حيرة العاشقين الذين جمعهم القرب وفرقهم المحال. إنها نصـــوص كُتبت بحبر بارد أذابه وجد واقد، لتبحث في تلك المفارقات العجيبة التي تجعل المسافة الواسعة قرباً يلامس القلب، وتجعل القرب الحميم وصالاً يحيي الروح.

هذه الصفحات ليست سوى مرآة صافية، تعكس كل من وجد نفسه غارقاً في تفاصيل الآخر، ولكل من هرب من ضـــجيج العالم الخارجي ليلجأ إلى هدوء الحنين الداخلي. إنها دعوة للغوص في تفاصـــيلنا، حيث تتلاقى التناقضـــات لتصـــنع حقيقتنا الأجمل، وحيث ندرك في النهاية أننا نحمل بين ضـــلوعنا نبضـــاً يدق مرتين: مرة ليذكرنا أننا نحيا، ومرة ليؤكد لنا بكل رقة.. أن من نحب هو حقاً "أقرب مما ينبغي".

أقرب مما ينبغي

كنا أقرب مما ينبغي،

فصرنا أبعد مما ندعي.

يا صديقي.. الحيرة محرابٌ لا يدخله إلا الشاكون،

والصمت صوتٌ لا يسمعه إلا الغارقون.

نحن الذين جمعنا القرب ففرقنا المآل،

ونادانا الوصل فأجابنا المحال.

إلى متى نبقى في منتصف الطريق؟

نبحث عن الغريق ونحن الحريق!

لم نكن أغراباً لنتعارف، ولم نكن أحباباً لنتآلف..

كنا شيئاً "بين البين"، دمعةً عالقةً بين العين والعين.

نهرب من الوجع إلى الألم،

ونكتب بالصمت ما عجز عنه القلم.

أهي لعنة الاقتراب أم غصة الاغتراب؟

في القرب بعدٌ لا يداوى، وفي البعد قربٌ لا يساوى.

تركتك لأجدك.. ووجدتك لأفقدك؛

هكذا نحن.. نحب الحضور ونشتاق الغياب،

نطرق الأبواب ونخشى الجواب.

ما حالة الطقس الليلة؟

ما حالة الطقس الليلة؟

حالة الطقس الليلة:

غائمٌ بدونك،

مائلٌ إلى حبك.

لا شمس تشرق في صدري ولا ليل يكتمل،

فالضوء فقد حريته وطريقه حين فقدتك،

والظلمة استقرت؛ لا تريد البقاء ولا تجد بديلاً.

باردٌ هذا الليل رغم ازدحام الدفء حولي،

ودافئٌ هذا البعد رغم قسوته.

طباقٌ لا يفهمه إلا قلبي حين يجمع بين ضدين؛

يبتسم للناس ويبكي بنفس الوقت.

الريح تمر بي خفيفةً لكنها تثقلني،

والصمت يحيط بي صاخباً، وفي سكونه ضجيجك.

فكل شيءٍ يقول إنك لست هنا،

وكل شيءٍ يصر أنك هنا أكثر مما ينبغي.

أمشي بعيداً عنك.. فأقترب،

وأهجر ذكراك.. فتسكنني.

فأي جناسٍ هذا الذي يجعل البعد قرباً،

ويجعل القرب وجعاً لا يهدأ؟

ما حالة الطقس الليلة؟

يا أنت..

يا غيمةً لا تمطر إلا في صدري،

ويا قمرٌ لا تطلع إلا حين تغيب.

ما زال الطقس كما هو:

غائمٌ بدونك،

ومائلٌ إلى حبك..

مهما حاولت أن أعتدل.

يا أنت..

هل لديك إجابةٌ على السؤال الذي بين الأسئلة؟!

ما حالة الطقس الليلة؟

أنت..

أنتَ.. أنا..

كيانٌ واحدٌ ألغى مسافاتِ الغُربة، وحكايةٌ تفيضُ باليقين وتطردُ الرهبة.

تدنيني منك واحاتُ الوفاء، وتوثّقُ عهدنا وعودُ اللقاء.

قريباً يسكنُ حنايا الروح، ويا بلسماً يشفي خفايا الجروح.

أنتَ نبضي الذي يسكنُ كُلّي، وأنا روحُكَ التي اكتملتْ بك.

لقد ذابتْ فواصلنا؛ من منا –يا هذا– أنا؟ ومن منا أنت؟

توحّدت الملامحُ في مرآتي؛ فأصبحتُ أراكَ حين أنظرُ إليّ، أبتسمُ بثغرك، وتلمعُ عيناي بشغفك.

أهيمُ بكَ حدّ الامتلاء، وتأخذني معك إلى دروبِ البقاء.

نحن البدايةُ التي كُتبَ لها الخُلود.

في عينيك.. أرى خارطةَ طريقي، وفي كلماتك.. أسمعُ أصدقَ بلاغتي.

أنتَ النورُ الجليّ، وأنا الحاضرُ بكَ ولأجلك.

بيننا هوىً يرتفعُ بنا إلى السماء، ورياحُ عشقٍ تملأُ أشرعةَ الأمل.

يا جنتي التي أستظلُّ بأشجارها، ويا نهري الذي أستسقي من مائه.

كلما بحثتُ عن نفسي.. وجدتني فيك، وكلما ضاقت بي الدنيا.. لجأتُ إليك.

هل أنتَ.. أنا.. ؟

حقيقةٌ ساطعة، وجوابٌ يشرعُ أبوابَ الطمأنينة.

أرجوان الغروب

شهقة الغروب، لوحةٌ السماءِ الباعثةُ للأشواق..

لونُ السحر الموقظ للحنين، وبوحٌ هادئٌ يقرأُ ما تُخفيه الضلوع.

في الأفق الملتهبِ ذابت قلوبُ العاشقين،

وغرقت في السحر أرواحُ المحبين،

يأخذني الغروب إلى شفقٍ يفيضُ بالذكريات،

وغسقٍ يعزفُ ألحانَ الوداع.

بين حُمرةِ العشقِ الدافئة، وزُرقةِ الشوقِ الصافية،

يولد ساحرٌ في كبدِ السماء..

يمزجُ لوعةَ الغروب بجمالِ اللحظة،

وينسجُ من خيوطِ الشمسِ ثوباً للأمل.

جسرٌ للعبور بين نهارٍ يرحل، وليلٍ يقترب،

يأخذُ من الوردِ عطره، ليهديه إلى الأفقِ الممتد.

أيها الغروبُ الساكنُ في جلاله..

كيف تُحرّكُ فينا كلَّ هذا الشجن؟

بكَ تلتقي ذكرياتُ الغائبين، وفي لحظاتِكَ يذوبُ كل عتاب.

لونُكَ صمتٌ يروي الأمس في حكايات ، وهدوءٌ ينطقُ بما في القلبِ من أمنيات..

يقودني سحرُكَ إلى حنينٍ عميق، يا غروباً هو للروحِ منفى ووطن،

وفيه تُحفظُ أسرارُ المحبين وتُعلن،

يا أرجوانيَّ الأفق.

بنفسج الوطن

يا بنفسجَ الأرضِ التي نبتت في دمي..

كيف أصبحَ الانتماءُ إليكَ هو هويتي المطلقة؟

أيها المجدُ الحاضرُ في كل حنيني؛

في ترابِكَ نداءٌ للوفاءِ يشدّني،

وفي تاريخِكَ عظمةٌ تملأُ كياني،

لتأخذني إلى دروبِ التضحية والعطاء..

تُزهرُ فيها الروحُ فداءً وعزيمة،

وتوقدُ في صدري نارَ انتماءٍ لا تنطفئ!

لا أُريدُ الهربَ من قضيّتي..

أجدني مُتجذراً في أرضِك،

تأسرُني بمحبتِك، وأحملُكَ وساماً في عنقي.

يا بنفسجاً يبني الأمجاد، ويصنعُ التاريخ..

أنا فيكَ مواطنٌ راسخ، وموجودٌ لرفعِ رايتك.

يا عهداً مقدساً أقسمتُ على صونه..

إنَّ بنفسجَكَ شمسٌ تُضيءُ مستقبلي،

ووطنٌ عظيمٌ يستوطنُ الروحَ والوجدان.

لقد بردَ الحبرُ

حبرٌ باردٌ.. وقلبٌ شاردٌ إليك!

دانٍ قريبٌ.. مطيعٌ ومجيبٌ!

أقرب مما يجب.. ومما يُرتجى أطيب!

فنورك أضواءٌ، وعشقك الدواءٌ..

قدراً جمعني ليسعدني، وأرشدني ليملكني!

حبري تجمد.. وشوقي تمرد!

كيف أكتبك؟

والحروف حيرى تتعثر، والكلمات خجلى تتدثر!

أفر منك إليك واقعاً، وأحتمي بظلك طائعاً..

يا حاضراً ماثلاً، ونوراً كاملاً!

الحبر باردٌ.. والوجد واقدٌ!

أتوق إلى لقاءٍ يجمعنا، وأرجو أن الوصال يرفعنا!

هل أنت حقيقةٌ تسبق الخيال، أم يقينٌ يفوق المحال؟

أقول لك...

إن بين البوح والنبض..

شوقاً أذاب الحبر البارد!

يكتبك فيخلدك، ويخلدك فيمجدك!

يا قريباً كالوريد.. وساطعاً كالنجم الفريد!

لقد بردَ الحبرُ

ما عاد في اللغة متسعٌ، ولا في المعنى مجتمعٌ!

أشكو حنيني إلى نفسي في واقعي، وأبث شوقي إلى طيفك في خيالي..

سأكتبك حروفاً من نورٍ مثبت..

قصةً في جبين الليل أصدق مما أدعي!

حتى تتلاقى الفواصل،

ويزهر الحبر..

على شفاه الرسائل

نبضٌ إضافي

ما هذا الذي يقرع أبواب صدري؟

لي قلبٌ سليمٌ،

فكيف أحمل بين أضلاعي نبضاً إضافياً؟

نبضٌ وافدٌ يفيض بالحياة..

ورافدٌ يروي الكفاية للنجاة.

ضيفٌ حبيبٌ، استوطن المكان فأقام،

حتى غدا صاحب الدار الذي استقام..

وغدوت في حضرته مألوفاً يطمئن عند عتبات روحه!

يأتي كبشارةٍ مثقلةٍ بالأشواق.. ونسمةٍ رحيمة تمنحُ الوفاق.

يا له من حضورٍ، يلمع في سماء الروح ويجمع شتاتي!

يتجلى في أعمق نقطة في الصدر.

أنا الهائم المأخوذ في شوقي، والغارق في بحر العشقِ،

أرغب فيك...

فأجدني أسير إليك. أقترب.. لأرتقب،

وأرتقب.. فأهيم في هالةٍ مضيئةٍ، وحالةٍ هنيئةٍ!

عميقٌ هذا النبض إلى حد أنه يسري في داخل عظامي.

ورقيقٌ هذا الشعور إلى حد أنه يبري آلامي،

نبضٌ إضافي

ويحلق بي كسحبٍ حانية.

أهذا هو النبض الذي يجعلني حياً؟

أم هو الانبلاج البهي يتجلى بهيئة وجودٍ راسخٍ؟

وجداني يستوعبه بصفاء؛

همسٌ يمس أذني، وبوحٌ يلوح على لساني.

يقينٌ بثياب الصدق، وطمأنينةٌ تمنح الدفء والرفق.

يقولون القلب ينبض ليحيا الإنسان،

وأنا أنبض بك...

فأي نبضٍ جعل القريب من دمي.. حاكماً بأمره في أوردتي؟

وأي نبضٍ حنونٍ جعل المسافة الواسعة.. قرباً يلامس القلب،

والقرب الحميم.. وصالاً يحيي الروح؟

أمشي في زحام الناس مأهولاً بك. وأجلس في خلوتي

مشمولاً بك.. حتى العناق.

أنا الآن أقف في اليقين،

بين السؤال الواضح.. والإجابة التي تسطع في النور.

أسأل الروح:

هل هذا النبض الإضافي هو أنت؟

نبضٌ إضافي

حين تسربت إلي وسكنتني..

أم هو "أنا"..

حين تجليت فيك واكتملت بك؟

هذا الجواب يهدئ هذه العاطفة الجامحة.

لا عذر لهذا الطقس المائل إليك،

رغم محاولاتي للاعتدال..

سوى أنني أحمل بين ضلوعي نبضاً واحداً،

لكنه يدق مرتين:

مرةً ليذكرني أنني بك أحيا..

ومرةً ليؤكد لي،

بكل رقةٍ ومحبةٍ..

أنك:

أقرب مما ينبغي.

برزخ الغياب

في برزخ الغياب...

ميتٌ أنا أحيا بموتي، وجثةٌ في حياتي،

تائهٌ يفضل الصمت على الكلام، أنت هناك... وأنت هنا،

خيالٌ بعيدٌ، يفصلنا بالمكانٌ، وتجمعنا أحلامٌ، وزمان،

عند الغروب، وفي الليل مع الأجرام والفلك،

هناك يجمعني خيالك يا ملك،

فيا ليت المسافة تطوى، ويا ليت الأسف ينزوي!

مع حيرتي الموجعة،

أبحث عنك في وجوه العابرين، فأرى غربتي، وأفقد قبلتي،

أصبحت قصتي تشبه كثيراً، كرواية "صاحب الظل الطويل"

فهل أنت الحقيقة أم الخيال؟

فالبعد شوكٌ يدمي، و شوقٌ يعمي!

أضحك فجأةً، أسكب القهقهات في فجوةٍ،

الجميع مجنونًا يظنني، ليس جنونًا أنما هو طيفك داعبني

وأرتوي من سرابك، يسكنني طيفك،

فيشردني، وأهرب منك، لألجأ إلى عطرك!

يا غائباً لا يغيب، ويا حاضراً لا يجيب،

برزخ الغياب

تعال إليَّ، أو خذني إليك،

فقد تعب الدم من القلب، وتعبت الروح من الجروح،

وأصبح البرزخ منفايَّ ومأوايَّ!

أشارك الليل سهادي، ويقاسمني الفجر سوادي،

لا الفجر يجلي ظلمتي، ولا الظلام يستر لوعتي،

أناديك بلا صوتٍ، بلغةٍ عصيةٍ على الحروف،

وطائعةٍ في حرم الشغوف!

بين الماضي والذكرى، أسير على حافة الشوق،

لا يسقط في النسيان، ولا يحررُ إلا بالوصال

معلقٌ بين سماء الوهم، وأرض الفهم.

في هذا البرزخ الملعون، أنا العاقل المجنون،

وأنا الحر السجين،

أنتظر غداً لا يأتي، وأبكي أمساً لا يمضي،

فهل أصبح الغياب وطناً؟

وصار اللقاء غربةً؟

أقول لك أنك ما تزال كما أنت...

حيرتي الكبرى، وأشواق الذكرى.

مرايا...

أنا المرايا، التي تعكسُ المزايا

أنا النوايا، التي تطهرُ الخفايا

وجهٌ لوجهٍ.. والصفاءُ كمالٌ

وبوحٌ بصدقٍ.. والقربُ وصالٌ

أرى فيَّ حبيباً، يعرفني جداً

وألمسُ قريباً، يوافقني وداً

يقينٌ وصدقٌ صريحٌ

ولي قلبٌ طروبٌ يحب الصحيح،

فإلى مساراتي، أشد الرحال

وفي انتصاراتي، يزول المحال

أنا الواقف، أمام صفاء الزجاج

أنا العاكف، على نور الابتهاج

هدايا ثمينةٌ، تجمع شتاتي، في لوحٍ صقيلٍ

وتنعش حياتي، كنورٍ دليلٍ

أبصرتُ فيها.. بصيرة العرفان

وسكنتُ فيها، سكون الأمان

لتهدي الوطن.. لقلبِ الحبيبِ.

مرايا..

يسبقها الضوءُ لتهديني حلاً يستدعي الذكرى

في مرآةٍ، حين بان الانعكاس

ورأيتُ بهاء طيفكَ، في رقة الإحساس

لقد زال بيني وبينه برزخُ الغياب.. وتاريخُ الأفول

تواصل الوقتُ..

لتحيا الحكايا بصدقٍ وتقول:

إن ضاق بك المكانُ.. ستجد الاتساع

وإن أظلمت دنيتك.. حتمًا ستجدُ الشعاع

فحين تُعطى وجهاً.. وتُمنح روحاً

ستبني صرحاً.. وتُعلي بوحاً

وستجد أنك القريب.. في ملامح الحبيب

وأنك المجيب.. عن سؤالٍ نجيب

في ذاتك تقول الحكاياتُ: هنا القرار

وفي ممراتك.. تضيء المرايا بلا انكسار

يقينٌ باهرٌ.. وحقٌ ظاهرٌ

زجاجٌ..

يجلو عجاج السنين

مرايا...

ويوقظُ فينا لُحاظ الحنين.

وحين تعجزُ اللغات..

أكون أنا المرآة.. في صفاء الذات.

بيني وبيني..

عهدٌ وثيقٌ، وحلمٌ أنيقٌ

يذكرني بكَ.. في انعكاس المرايا

ويذكرني القمر...

انتصف الشهر...

وانشطر العمر،

بين طارٍ وتذكارٍ،

وبوحٍ وأسرارٍ.

يذكرني القمر،

بلونه الفضي،

بماضٍ لا يمضي،

وبوقتٍ ينقضي!

يا فضة الفضاء،

ويا فيض القضاء،

لقد أصبحت للأرض،

أقرب مما ينبغي...

وأبعد مما أبتغي!

أفر منك،

وألجأ إلى طيفك،

فيا قمر...

كيف تجمعنا السماء،

ويذكرني القمر...

ويفرقنا الوعد؟

في اكتمالك نقصي،

وفي دنوك أقصى مقصي،

أراك بياضاً في سوادٍ،

ورماداً في سهادٍ.

يلمع اللجين،

بين العين والعين،

فيلهب الحنين،

في جسد الأنين.

بين ارتفاع وشعاع

أقف حائراً...

ناظرًا اليك!

هل أنار القمر ليلي؟

أم أثار الويل ويلي؟

مكتملٌ هو،

ومنكسرٌ أنا.

فضيه يعكس ذهبي المفقود،

ويذكرني القمر...

ووجوده يثبت شوق اللقاء المنشود،

أنظر إلى العلاء،

فأجد دائي، وأفقد الدواء.

انتصف الشهر...

فهل تنصفني الأيام؟

أم أن البدر...

مجرد أوهامٍ؟

خوفٌ طاهرٌ

أخاف..

يا من جعلت من جدباء عمري واحةً،

ومن شقاء أيامي راحةً،

أخاف خوفاً يمزق وصالي،

ويبعثر في الليل آمالي،

أن يكون حبي الذي نبت في روحك،

خنجراً يزيد من نزف جروحك،

وأن يغدو الغرام الذي كان بلسماً،

سماً يتسلل في صدرك يوماً بعد يومٍ..

يتضخم..

يتمدد..

ويسرق من عينيك بريق النوم.

ليس لأني بين الرجال خبيث المقاصد،

أو سيئ النوايا وباردٌ،

ولا لأن عشقي خطيئةٌ كبرى،

تستوجب من العذاب سقياً ومراً،

بل لأن ضميري،

خوفٌ طاهرٌ

يتنفس بقربك،

ويختنق في بعدك،

ترتعد فرائصه من فجيعة الغياب،

يخشى أن تفقديني لحظاتٍ،

أو ساعاتٍ،

أو أياماً،

فتقفين على حافة الاغتراب،

وتظنين لبرهةٍ طائشةٍ من الوقت،

أن ما بيننا كان محض سرابٍ..

أن الحب كذبةٌ،

أن الشوق وهمٌ،

أن اليقين شك،

فيسكن قلبك الغض الصغير،

ألمٌ كبيرٌ،

ورهبةٌ تجعلك تفرين من هذا الحب..

وتفرين مني.

ولأن الحب في عقيدتي،

خوفٌ طاهرٌ

هو ديني وقبلتي،

فعلٌ مقدسٌ تسجد له المشاعر،

وشعورٌ طاهرٌ يفيض كنهرٍ كابرٍ،

بين روحٍ تحيا، وروحٍ تحيي،

فأنا أرتعب من دنس الحزن،

أخشى عليه من دموعٍ تغرق مراكبه،

ومن مواجع تطفئ كواكبه،

فيفقد هذا النقاء جماله،

وتسلبه الأحزان كماله.

وأخاف..

يا إلهي كم أخاف عليك مني،

لأني يا سيدة الطهر،

لست ملكاً معصومًا،

ولا قديسًا مرحومًا،

لست بكامل براءتك التي تخجل الغيم،

ولا بكامل طيبتك التي تمحو هواجس الضيم.

أخاف عليك من صوتي،

خوفٌ طاهرٌ

إذا ما تعالى وتمرد،

فيكسر زجاج هدوءك،

ويخلخل سكونك المتفرد،

أخاف عليك من ثورتي،

من غضبي وعصبيتي،

من طباعٍ في نفسي أكرهها،

ومن وجوهٍ في ذاتي أمقتها وأرفضها.

يا للمفارقة القاسية..

أخاف أن ترتجفي يوماً من رجلٍ،

لم يعرف الخوف إلا عليك،

وأن تصيبك الرهبة من قلبٍ،

لم يهرب من الدنيا إلا إلى يديك..

أنا الذي جعلت حمايتك مذهبي،

أخاف من لحظةٍ شيطانيةٍ،

أصبح فيها أنا مصدر خوفك،

ويصبح حضني منفًى لأمانك..

أخاف أن تخافي ذات يومٍ.. مني.

أطلي...

أطلي بوجهك الليلة،

لجلاء الرؤية في عمى البصر،

ولتراك البصيرة في جلاء النظر!

ولأدرب الصبح على النهوض..

وأعلم الفجر كيف يسفر مبتسماً،

من ثغر إشراقك،

وألقن الشمس دروس الاحتراق،

في لظى أشواقك!

كيف للنور..

أن يدعي البريق،

إن لم يسرق من خديك بريقه؟

وكيف لليل أن يعرف السواد،

إن لم يتلاش في بياض محياك؟

أطلي بملامحك..

لأقتل بها موت اللحظة،

وأحيي بها حياة الأبد..

فتغدو ثواني الانتظار حضوراً،

أطلي...

ويصبح قدومك انتظاراً لما هو أجمل.

أنت الجمال المتصالح مع ذاته..

حربٌ تفرض السلام على روحي،

أطلي...

لتبنين من خرابي مدينةً للفرح،

وتهدمين بمعول الحنان حزني،

ليندثر برد الوحدة في دفء العناق.

أنا في حضرتك..

عاقلٌ مسه الجنون،

وراهب ذاق حلاوة الإيمان في محراب رمشك!

أبتعد هارباً، لأقع في فخ الوصول إليك..

هاتي وجهك..

ليخجل الصبح من نقصه أمام كمالك،

وليغيب الشتات في حضرة التئامك..

فما الأشياء من حولي إلا أنت،

وما أنت إلا الوطن الذي لا أفر منه،

أطلي...

أمـ♡ـي مجددًا

هي..

حيرة النور في ظلمة الأشياء،

وفوضى السلام في صدر العاصفة!

خطوةٌ تجمع الكون كله؟

أمـ♡ـي.. تربكين صفو القلق،

فور ما تطأ قدمك أي مكانٍ..

تبنين من هدم المخاوف مأوًى،

وتقتلين ضجيج الفزع،

بحروف الدعاء..

وتجمعين شتات الروح،

بترتيب عبث الخطى.

امرأةٌ..

خلقت لتكون مثالاً حياً للطمأنينة،

تمحو من الأيام الوحشة،

بنور الأنس..

وتحيل جدب الأيام،

إلى ربيع الحياة.

أمـ♡ـي مجددًا

تطفئين نار الشك بماء اليقين،

وتأخذيننا من ضيق التيه، إلى سعة السكينة.

في حضرتك..

يغيب كل جرح، ويحضر كل بلسم..

والخوف يفر هارباً من هيبة الأمان،

والشتات يغترب في وطن الحنان.

يا سراً عصياً على الفهم..

جعلت من كفيك ملاذاً، ينفي كل غربةٍ،

ويأوي كل حيرةٍ!

أحبك أمـ♡ـي..

أمـ♡ـي قديمًا ومجددًا؟

هي السبب..

هي التي..

تجعل من انطفائي..

وقوداً لاحتراقي.

في كل لحظةٍ، أكون فيها.. في قمة التوهج؛

تكون هي "المحراب".. الذي صلت فيه نيراني.

أصعد.. من قاع الركام ، إلى ذروة العلم.

أكون نجمًا.. لأنها ليلٌ،

وأصبح نهراً.. لأنها سيلٌ.

هي السر المخفي في الكون،

والتوفيق الذي صنع الحضور.

كلما لمع نوري.. في عيون المارة،

عرفت أن بصمتها.. هي "المنارة".

و هي السر.. في موسم الجهر،

وهي العمر.. في كل لحظة من لحظات الدهر.

توهجي.. ليس فعلاً مرفوعاً بي،

بل هو "أثرٌ".. مجرورٌ بهواها.

أمـ♡ـي قديمًا ومجددًا

أكون في "الأوج".. لأنها موجٌ،

وأكون "نجماً".. لأنها سماءٌ.

دائماً ما تكون.. هي "الألف"..

قبل ياء اليقين. وهي "الذات"..

في جميع اللحظات.

أنا.. لست إلا نصاً،

وكانت هي.. ربة البلاغة فيه.

ولأنني ..

ولأنني..

كائنٌ متكورٌ على أحزانه،

يطوي وجوده، في صمت الانطواء،

ويفرش عزلته، في ضجيج الأشياء.

في نومي..

أنكمش هارباً، من اتساع الوجود،

إلى ضيق الكوابيس..

وفي صحوي..

أفر لاجئاً، من ضجيج الخلق،

إلى هدوء الروح.

وحين أمشي..

أضم يدي إلى قلبي، كأنني أحرس،

بقايا نفسي..

وفي المجالس..

أجلس على حافة المكان، حاضراً بالجسد،

غائباً بالوجدان،

أخاف السقوط، في عمق التواصل.

ولأنني..

معك..

يا كل السعة،

في زمن الضيق!

معك فقط يغدو الخوف أماناً..

فأفرد كل أعضائي،

وأتمدد في مساحات،

طمأنينتك،

وأتخلى عن حذري.

كأنني طائرٌ..

نسي زماناً كيف يحلق،

وألف قيود الأرض..

حتى رأى سماءه في عينيك،

فتذكر الفضاء،

وطار من زنزانة وحدته،

إلى رحاب أنسك!

أظنك فهمت لماذا الآن!

لأنني ...

أخاف...

في محاريب الصدور..

زحامٌ لا يبين، وصمت دفين

سجونٌ من ورقٍ، وشجونٌ من أرقٍ!

قلوبنا ملأى برسائل لم تكتب؛

لأن الحرف قيدٌ، والوجد حريةٌ.

لأن المداد ضاق عن مداد الشعور،

ولأن بعض البوح.. عورةٌ لا تستر!

وإن كتبت..

بدم الوريد؛ لن ترسل..

خوفاً على "نورنا" من برد الجفاء،

وعلى "كبريائنا" من ذل الرجاء.

فنحن نكتب لنبرأ، لا لنقرأ!

نطويها في "الأنا"..

خشية الضياع في "الآخر".

وإن ارسلت.. بغتةً؛ لن تصل..

فالمسافة بين الضفتين ليست مساحةً،

بل هي "متاهةٌ".

أخاف...

لأن بريدنا مثقلٌ بالظنون،

وطريقنا مسدودٌ بـ "كان" ويكون.

كيف يصل من يسير بـ "القلب"،

إلى من ينتظر بـ "العقل"؟

وإن وصلت..

بمعجزةٍ؛ لن تفهم..

وهنا يكمن القهر في صورة الظفر.

سيلمسون "اللفظ".. ويجهلون "النبض".

سيقرؤون "الخبر".. ويعمون عن "المخبر".

سيفسرون "اللهفة" بأنها "ضعفٌ"،

و"الاحتياج" بأنه "ترفٌ".

يا لغربة المعنى في وطن المبنى!

نحن أحياءٌ برسائل موؤودةٍ، وقتلى بكلماتٍ مفقودةٍ.

ندور في حلقةٍ مفرغةٍ:

نصمت لنسلم.. فنتألم، ونتكلم لنفهم.. فنتهم!

ففضلنا أن نكون أبعد مما ندعي

على أن نكون أقرب مما ننبغي.

لا عجب..!

عجباً لمسافاتٍ نلغيها،

ولحدودٍ نمحوها!

نفر بها من صقيع الغياب،

باحثين عن جحيم الحضور،

كمدخنٍ يعلم أن السجائر سببٌ لموته،

لكنه رغم ذلك لا زال يدخن،

نرغب باللقاء وهو شقاءٌ.

يا للعجب كيف احتار القلب!

بين القرب الذي يعمي،

و البعد التي تدمي.

نعلم أننا أبعد ما يمكن،

لكن نرغب في تلاشي المسافة الآمنة،

حتى تصبح الصفر

حتى تصبح مسافة الكفر بكل فراقٍ.

ويا للمفارقة القاتلة..

أن تجد غريبك في أقرب الناس إليك،

وأن تكتشف أن طبيبك،

لا عجب..!

هو ذاته من ينكأ جراح يديك!

تداخلت الخطوط فسقطت الشروط،

وتشابكت الأرواح فنزفت الجراح.

سنظل في برزخ البعد؛

عطاشى بلا ماءٍ،

وموتى بلا فناءٍ،

حائرون بين أن نعاقبهم على الابتعاد،

أو نعاقب أنفسنا على الاقتراب.

صمتهم ريبٌ، وبوحهم عيبٌ،

إن حضروا أربكوا،

إن غابوا أهلكوا.

فيا ليتهم بقوا حيث كانوا؛

لا اقتربوا فأحرقوا،

ولا ابتعدوا فأشوقوا.

نحن ضحايا هذا المنتصف الملعون،

ببساطةٍ مربكةٍ، وبتعقيدٍ ساذجٍ:

أننا أقرب مما ينبغي.. ونحن أوجع مما نطيق!

صفقةٌ رابحةٌ..

صفقةٌ رابحةٌ..

يا أيتها الجميلة في وجودك،

وصافي ربحٍ كبيرٍ في إطلالتك!

أنت تبتسمين..

فيبكي الحسن خجلاً من نطق حسنك،

وتولد الحياة في كل الأشياء..

وأنا أكتب الشعر..

لأمحو به نثر المخاوف،

وأنظم خلل الأيام في قوافي ودادك،

بشعرٍ يفضح سري،

وشعورٍ يستر حيرتي.

هي صفقةٌ تسخر من منطق العقول..

تمنحينني بسمةً،

تشترين بها كل جميلٍ..

وأعطيك قصيدةً،

تبيع كل حكمتي،

لتباع في سوق جنونك!

صفقةٌ رابحةٌ..

هكذا..

بلا حساباتٍ تعقد صفاء المشاعر،

تنخفض أسهم البعد بيننا،

ليرتفع رصيد القرب في صدر التلاقي..

يسقط الغياب في فخ الحضور،

وينهزم الفراق أمام انتصار العناق..

يموت الهجر ليحيا الوصال،

وتفشل المسافات في رسم الحدود.

معادلةٌ تجمعنا..

فأخسر كل العالم لأكسبك،

وأربح نفسي حين أضيع فيك..

تبتسمين، فيتلاشى الكون ويتعاظم،

وأكتب، فيكبر معناك حتى يبتلعني..

ولا يبقى من طرق النهاية مسارٌ،

يأخذ خطاي بعيداً،

إلا..

إليك...

حائك سراب..

لأنني حائكٌ للسراب،

أو لعلي في مذهب الغي العميق،

أزيد بضع خيباتٍ،

أو أنقص عمراً.

أنا الممتد في الانحسار،

المنطوي في الانتشار،

أهدي العميان بصيرتي،

وأتعثر في وضح النهار.

أجمع شتاتي لأتبعثر،

وأتبعثر كي لا أجمع.

من هذا الضياع المرتب...

ولأنك تتفرسين في انطفائي،

حين تتكور مفردة "أشتاقك"،

في برد السطور،

وتنزوي خجلاً من لفح المجاز.

تتفرسينها...

كأنها زهرةٌ نبتت في قلب صخرٍ،

حائك سراب..

أو قطرة ندًى في خضم جمرٍ.

حيث يعانق البوح النوح،

ويصطدم الشوق بالشوك.

حيث أنت الدواء والداء،

وتحضرين كأنك الأمل،

وتغيبين كأنك الألم.

من هذه الحيرة العاصفة...

وأنثني...

كغصنٍ أثقلته الرياح العاتيات،

أنثني،

نحو كآبتي المتكدسة،

كأحجار معبدٍ مهجورٍ،

كآبة من ارتحلوا قبلي في دروب الغواية...

أولئك الذين سكبوا أرواحهم في المحابر،

فصاغوا من الحروف قصيدةً،

ومن القصيدة عقيدةً.

ماتوا مراراً ليحيا السطر،

حائك سراب..

وعاشوا طويلاً في غياهب الحبر.

من هذا الفناء المخلد...

ممن علموني أن العشق مشنقةٌ،

وأن الحرف حتفٌ،

وأن الكلمة كلمٌ وجرحٌ،

وأن النجاة تكمن في الغرق،

وأن البقاء يولد من التمزق.

أولئك الذين اتخذوا من الوجع وطناً،

يجعل غربتهم سكناً،

فكانوا أسياد العبيد،

أسياداً في دولة الشغف.

من إرثهم الثقيل على كتفي...

فدوني انهياري بحذافيره،

بلا حذفٍ لآهةٍ،

أو اختزالٍ لشهقةٍ.

اكتبيه كمن ينقش أسطورةً على الماء،

ويحفر اسماً على الهواء.

حائك سراب..

اكتبيه بحرفٍ لا يقرؤه سوى البصير،

وصمتٍ لا يسمعه سوى الضرير.

اكتبيه نزيفاً لا يتوقف عند فاصلةٍ،

ولا يعترف بنقطة انتهاءٍ.

من هذا كمال المشوه...

ولأنك تتأملينني في كل إشراقةٍ،

كشمسٍ تشرق على مدينة أشباحٍ،

وكقمرٍ يضيء دروب التائهين.

حاضرةٌ أنت في كل حرفٍ،

غير أنك منفيةٌ من الحضور.

كان محتوماً عليك،

بحكم القدر والقافية،

أن تتركي زفرةً...

على حافة أحد نصوصي،

الذي سكنت بين مساماته...

زهرةً تسكن فوهة بركانٍ.

من هذه الزفرة الحارقة...

حائك سراب..

الذي كنت فيه...

ألفاً لا تقبل العطف،

وياءً لا تعرف الوقف.

كنت المبتدأ في جملةٍ لا خبر لها،

والفاعل في فعلٍ لا مفعول له.

تسكنين النص كروحٍ،

وتغادرينه كسرابٍ.

تشعلين فتيل المعنى،

وتطفئين رماد المبنى.

من هذا الحضور الغائب...

ولأنك تمقتين الشجن،

وأنا سليل المحن،

ولأنك ابنة الربيع الزاهر،

وأنا أسير الخريف الغابر.

تلتقي أضدادنا في ساحة الوهم،

كتقاطع النصل مع اللحم.

كان لزاماً،

حائك سراب..

بين مدك وجزري،

وبين فجرك وعسري،

أن يسدل الستار على شغفنا

في مقطعٍ نثري...

ودمعةٍ.

من هذا الفراق الحتمي...

مقطعٌ يئن في صخبٍ،

ودمعةٌ تبتسم في تعبٍ.

نهايةٌ ترفض الابتداء،

وبدايةٌ تعشق الانتهاء.

حيث يفترق الوصل بالهجر،

ويلتقي الشوق بالصبر.

نفترق لنجتمع في الخيال،

ونجتمع لنفترق في المحال.

نتهجى أبجدية الوداع،

ونحن في أوج اللقاء.

من هذا الخيال المحال...

حائك سراب..

وإلى...

أن ترمقي هيامي من وراء حجابٍ،

يا دانيةً كحبل الوريد،

ونائيةً كالنجم البعيد.

من وراء حجابٍ...

لئلا تكتوي بي زمهرير كآبتي،

ولئلا تغرقي في جفاف صحرائي.

فأنا بردٌ يحرق،

ونارٌ تغرق،

ونورٌ يعمي،

وظلامٌ يرشد.

من هذه المسافة الآمنة القاتلة...

اقرئي شغفي كأثرٍ في رمالٍ،

سفته الرياح العقيم.

لتأملي احتراقي كعابر سبيلٍ،

لتستدفئي بنار قريةٍ تحترق.

لكن لا تقتربي لئلا تصبحي رماداً،

حائك سراب..

أبقي هناك...

في المنزلة بين المنزلتين،

بين الشك واليقين،

بين غمضة العين، وانتباهة العين.

من هذا البرزخ المعذب...

إلى... المجهول المطلق...

حيث يغفو الجناس بين همي ووهمي،

ويستيقظ الطباق بين نورك وعتمتي،

حيث تتصالح الأضداد في مقبرة الحروف،

وينتحر المعنى على مقصلة الخوف.

ويبقى النداء معلقاً،

كأمنيةٍ عالقةٍ في حلق أخرس،

يصرخ في وادٍ أصم. من أول السطر...

إلى... آخر النبض...

إلى... أن يفنى الكلام...

إلى... اللاشيء.. أكتب لك هذا النص

لتدركين أنني حائك سراب بارع

ما تقوله الأساطير..

ما تقوله الأساطير..

أنك واقعٌ يسخر من جمال الحكايات،

جاء في الروايات الجميلة أن ضحكتك..

أطفأت ضجيج الأيام،

وأنطقت صمت الأصنام.

جمعت السكينة والإيمان ،

بالتابوت الذي جاءت تحمله الملائكة،

ومن شدة اليقين، آمن بنو إسرائيل

وأنا آمنت.

ضحكتك التي..

تقتل يأس اللحظات بيقين نبرتها،

وتحيي رفات الأمل في مقابر البؤس.

إنها.. سقطت من سماء البهجة،

لترفع أنقاض الروح..

وهبطت كأنها الوحي،

لتصعد نبض الحياة في جسدي.

سقطت على يومٍ كئيبٍ..

ما تقوله الأساطير..

فأحيت فيه أفراح أمانيه،

وطردت أحزان مآتمه،

ونسجت من خيوط النور ظلاماً،

ليرتدي ثوب حداده.

فأحالت جدب شقائه ربيعاً،

وبنت من هدم كآبته،

محراباً للسرور..

ابتسمت..

فأعلن الوقت التوبة،

ورجع الزمان عن غي أيامه،

ليستقيم على صراط مباهجك.

من وقتها..

نسميه عيداً!

كفرٌ بدين الأحزان،

وآمنٌ بمذهب الفرح..

عيداً..

تبسمي يا جميلة لتبعثري،

ما تقوله الأساطير..

شوقاً في مداراتك.

عيداً..

لا يعترف بتقويم الفصول،

بل يزهر في خريف العمر حياةً،

وينسم زمهرير الوحدة بصيف حنانك!

يا معجزةً تكذب منطق العقول،

أصدق بجنون العاطفة..

إن كان فيك..

فلا طريق يأخذني بعيداً،

ولا وجهة تعصمني من هذا الغرق البديع،

إلا.. إلى.. أقرب من ذلك.

اكتبي لي؛

اكتبي لي؛

فهذه الأيام أشد خواءً من الأوراق الفارغة..

إلا من حروفك!

اكتبي..

ليتحرر الموجود من قسوة القيود،

فأنا هنا..

في مهب الشوق أنتظر عصوف الحضور،

أفتش بين الرسائل باحثاً عن نبضٍ للسطور.

اكتبي..

فالبعد "بينٌ" يكسر أضلعي،

وحرفك "بيانٌ" يجمع أدمعي،

بين "داءٍ" يسكن وصالي،

و"دواءٍ" ينسكب من آمالي،

تترنح الحقيقة على حافة الغياب،

ويغدو القرب أسيراً للمحال.

هذه الأيام..

يا سيدة الشوق المقدس..

اكتبي لي؛

حروفٌ من لا تكتبها أناملك

عاريةٌ من المعنى كشجرةٍ نساها الربيع،

وقاسيةٌ كجليدٍ تأبى أن تذيع،

أقرؤها وأنا مثقلٌ بخفة الفراغ،

وأصرخ في جوفها بهوتٌ مصاغٌ،

لا شيء يؤنس وحشة الروح..

سوى "حرفٍ" منك يداوي،

ولو كان إلى "حتفٍ" ينادي،

ففي حروفك أحيا،

وفي صمتك أتلاشى.

اكتبي لي..

وأرسلي مع الكلمات نصفك الذي هناك،

ليلتقي بنصفي الذي ضاع في هواك،

لسنا ضدين..

فلماذا البعد؟

فالبعد حربٌ تشعل في الخفاق،

والقرب سلامٌ يستوطن في الأعماق،

اكتبي لي؛

والسكينة التي تهدئ الأحداق.

إلى متى؟

إلى متى نسرق من العمر لحظاتٍ مهربةً؟

وننسج من الخوف أحلاماً مرتبةً؟

اكتبي..

فالورق يبكي من شدة البياض،

والقلم يشكو من عقم المخاض،

اكتبي شيئاً.. أي شيءٍ..

كلمةً تطفئ نار الحنين،

أو حرفاً يوقد جمر الأنين،

فسواءٌ عندي عذاب الوصل،

ونعيم الفصل،

مادام الأثر منك،

ومادام المآل إلى قلبك.

اكتبي..

لأني أصبحت أبصر الكلام بعينيك،

وأقرأ السكوت في شفتيك،

اكتبي لي؛

تتضارب الأفكار في رأسي..

هل أنت حقيقةٌ أم وهمٌ خلابٌ؟

هل أنت سؤالٌ أم مجرد جوابٍ؟

اكتبي لتثبتي لي أن العالم مازال يدور،

وأن الشمس مازالت تعرف معنى النور،

فبدون حروفك..

تتساوى الأشياء في درك اللاشيء،

اكتبي لي..

على ورقٍ من نورٍ،

ولو بحبرٍ من نارٍ،

فأنا قارئك الوحيد في زمن العميان،

وأنا غريقك الذي يرفض شواطئ الأمان،

إلى أن تمطر السماء حروفاً،

وإلى أن يزهر الصمت صفوفاً،

صدقيني إن لم تكتبي...

سأظل أنتظر أن تنطق الأوراق الفارغة..

باسمك!

بارعة التوصيف

يا بارعة التوصيف..

ويا حيرة المعاني في يقين الكلمات!

تخلقين من جفاء الأيام أنساً،

وتسلبين من صخب الوجود هدوءاً..

تهندسين بلاغة الكون..

فتجعلين من أهلك وطناً،

تنفين بهم غربة الروح،

وتستوطنين في دفء الانتماء،

ليغدو الحياة بقربهم أمناً،

ويصبح الخوف في حضنهم سلاماً.

وتجعلين من صديقاتك بيوتاً،

تأوين إليها من شتات الأيام،

وتهربين بها من زحام الوحدة،

تبنين من أنقاض العزلة مأوًى،

وتقيمين من سقوط التعب عماداً.

وتصنعين من طرقك بساتين،

تورق تحت خطاك التي لا تعرف الذبول،

بارعة التوصيف

فتحيل جدب الأرض،

إلى زرقة السماء،

ويضحك التراب العطشان إذا بكاء الغيم،

ليزهر الطريق بمرورك حياةً.

أما أنا..

فأنا اللا مسمى في زحام الأسماء،

والغائب المستتر في حضرة المثول..

أحيا بموت أمنياتي،

وأموت بحياة مخاوفي..

لا وطن يضم شتاتي المنثور،

ولا بيت يأوي خرابي المعمور بالأسى،

ولا بستان يزهر في خريف عمري الطويل.

أما آن لقلبي..

أن يجد في لغتك مأواه؟

وأن ينسب،

بعد طول الجحود،

إلى دفء معانيك؟

بارعة التوصيف

أما حان لهذا المتيم،

أن يجد في كلماتك عشقك؟

وأن يمحو بنور حضورك،

عتمة منافيه الخالية؟

خذيني من برد ضياعي..

وانتزعي بحنانك القاسي على مخاوفي مني،

لقب البائس الحزين..

وامنحيني من فائض وصفك، اسماً يبدد مجهولي،

ويعرف نكرتي التائهة.

اقتلي في روح التمرد،

لتحيا بي روح الاستقرار المفقود..

واسرقي من عمري دمعة الحزن القديمة،

لتهبيني بسمة الانتماء الجديدة..

لأكون قطيناً في مدنك،

لا عابراً في هوامشك..

ولأمضي من سراب التيه،

إلى حقيقة الحب.

وما العيد..

اليوم عيدٌ..

وإطلالتك هي الفتوى التي أجازت صلاة العيد،

فتوى تنقض شرع الأحزان البالية،

وتحل دم الكآبة المعصوم..

فتحرم بكاء الأطلال على المتيم،

وتوجب فرح الوصال على المتشرد،

تكفر بدين العبوس القديم،

وتؤمن بمذهب التبسم الجديد.

وجهك..

التبرير الوحيد،

لوجود العيد في هذا الوجود العدمي!

فما الزمان إلا عبثٌ يبحث عن معنًى،

ولم يجد معناه إلا في صفاء ملامحك.

أنت وحدك،

بوجهك ملامح صباح العيد الزاهي،

والعيد في حضرتك فريضةٌ،

والغياب عنك كفراً بواحاً.

وما العيد..

صوتك..

ذلك النداء الذي لا يمل عزفه قدري،

الذي يجعل من أيامي الهرمة الشمطاء،

طفلةً تلبس أثواب الطفولة من جديدٍ.

وبرنةٍ واحدةٍ تمحين تجاعيد السنين،

فيهرب شيب الحزن من روحي العجوز،

ليسكن شباب لحنك في وريدي!

صوتك بعثٌ بعد موت المشاعر،

وهدوء روعٍ لكل هلعٍ كان قبل هذا البعث.

ملامحك..

تلك التي لا تكتب في دفاتر الروزنامة،

ولا تؤرخها أقلام البشر الجافة،

ولم تعرفها مواقيت الأهلة المارة.

لكنها تقيم مهرجان العيد العظيم،

في ساحة قلبي..

وتزرع في برد الشتاء الدفء،

وتقلب موازين الفصول العاقلة،

وما العيد..

ليزهر الربيع في عز الخريف!

حضورك..

هو الدليل القاطع الذي لا يقبل التأويل،

والبرهان الساطع على أن العيد أحياناً..

لا يكون زمناً، بل قد يكون امرأةً!

امرأةٌ تختصر زحام الوقت في لحظةٍ،

وتوسع لحظة اللقاء لتتسع لعمرٍ كاملٍ.

لتؤوي من العمر كل طمأنينةٍ لاجئةٍ،

وكل حنينٍ مشردٍ طريدٍ،

ليصبح المكان في وجودها مكاناً،

والزمان في نبضها زماناً.

العيد..

ليس جرماً يدور في فضاء السماء،

ولا يوماً ننتظره في عداد الأيام العابرة،

بل هو أن يكتمل هلال وجهك الوضاء،

في ليل ذاكرتي..

فأبصر بك ما عجز النور عن كشفه،

وما العيد..

وأعمى عن ما دونك.

وأمضي هارباً من كل أشيائي،

تاركاً ورائي العالم،

لأسافر إليك لأقترب أكثر مما ينبغي..

عيديتي لك اليوم:

أن العيد مؤجلٌ حتى يأذن وجهك،

يومئذٍ يفرح الناظرون برؤيته.

حدثيني..

أمطري هاتفي بما تشتهين من الرسائل،

والصور،

واللحظات العفوية،

وحتى طرائفك المبهجة.

لا تترددي في إيقاظي باتصالاتك عشرات المرات كل يومٍ،

ولا تملي من اختباري وسؤالي عن حجم حبي لك مراراً وتكراراً.

أنا متعطشٌ لأدق تفاصيلك؛

حدثيني عن لون طلاء أظافرك الجديد،

وكيف رتبت خصلات شعرك اليوم.

احكي لي عن أحاديث جارتك التي لا تنتهي،

وعن انبهار المرآة بوجهك قبل أن تغار منه صديقاتك.

شاركيني إرهاق يومك،

وحتى مقادير وصفتك التي تطبخينها الآن.

بوحي لي بما يدور في رأسك حين تكونين وحيدةً بين جدران غرفتك.

قصي علي حكاية القط الذي عبر شارعكم،

وصفي لي رائحة المطر المتساقط وتلك الأجواء الساحرة التي ترافقه.

تكلمي في كل شيءٍ، وأي شيءٍ؛

حدثيني..

فحضورك هو النسمة الأرق على روحي.

خذيني في حديثٍ طويلٍ عن أزمات المناخ،

وتاريخ الكائنات المنقرضة،

والمخلوقات الفضائية،

وعن انزعاجك من كسرٍ مفاجئٍ في ظفرك،

وعن هموم هذا العالم بأسره.

احكي لي عن ذكريات لقائنا،

وعن سهرنا الطويل،

حدثيني عني وعنك..

فأنا ببساطةٍ، لا أرتوي من سماع صوتك.

تكلمي..

ليخرس ضجيج العالم في رأسي،

وينطق صمت الكون في قلبي،

فأنا معك..

أجد في الثرثرة سكوناً يلفني،

وأرى في الهدوء جنوناً يستنزفني،

تتساوى عندي عظائم الأمور بصغائرها،

حدثيني..

وتتشابه بواطن الأشياء بظواهرها،

مادام الحرف من شفتيك يسيل،

فهو الورد العبق الجميل،

ومادام المعنى إليك يميل.

اجعليني أسيرك الحر،

وحرك الأسير،

في معتقل كلماتك الذي لا أبغي منه فراراً،

وفي بحر حكاياتك الذي لا أطلب فيه قراراً،

بين "بوحٍ" يحيي مواتي،

و"نوحٍ" يناسي رفاتي،

أتعثر بصوتك لأنهض بقوةٍ،

وأنهض بهمسك لأسقط في عمقك هوةً.

يا لهذا الشهد اللذيذ المربك..

حين يكون إزعاجك هو قمة راحتي،

وحين يكون فراغك هو منتهى مساحتي،

أنا الذي كنت أهوى العزلة فاعتزلت فيك،

وكنت أكره الزحام فازدحمت بك،

حدثيني..

صرت أومن أن السمع من نبراتك،

وأن البصر في التفاتاتك.

اسكبي لي من حديثك دواءً يداوي لوعتي،

واجعلي من جفاف الوقت ماءً يروي ظمائي،

ومن جوع الشوق زاداً يشبع جوعتي،

فما أنا إلا كتابٌ مفتوحٌ لمفرداتك،

وما أنت إلا لغةٌ استعصت على ترجماتي،

كلما اقتربت من فهمك تهت في التفاصيل،

كلما تهت في جهلك اهتديت إلى الدليل.

احكي لي..

إلى أن يندمج الليل بالنهار،

ويتحول الجليد إلى نارٍ،

إلى أن ينسى الزمان دورانه،

ويفقد المكان عنوانه،

فلا "مكان" يسعني سوى حضورك،

ولا "زمان" يؤويني سوى عبورك.

تكلمي يا سيدة البدايات التي لا تنتهي،

حدثيني..

والنهايات التي لا تبتدئ،

اكتبي وانطقي وعاتبي واضحكي..

كي أحيا في موتي بك،

وأتنفس حياةً معك.

مصحة..

مجنونٌ يستوطن عقلي يكتب..

لذلك البياض الشفاف الذي يعانق تفاصيلك،

ولتمرد تنورتك،

وانسياب خصرك الممشوق..

لتلك الرقة المخبأة خلف حريرك،

كطيرين يغفوان بسلامٍ..

لصفاء بشرتك التي تشبه في نقائها بياض الغيم،

ولليل المنسكب في سحر عينيك المكحلتين..

لقطرة الشهد المذابة على توت شفتيك،

ولرحلتي الخيالية إليك على جسرٍ من القبلات..

للرغبة المشتعلة التي تواريها خجلاً كلمة "أحبك"،

لدفء أنفاسك حين تدنو،

وللرجفة الذائبة في بحة صوتك والآهات..

ها أنا أرفع راية استسلامي لك وحدك،

وأمدد روحي درباً سالكاً لخطواتك.

فأخبريني..

كيف أقنع قلبي ألا يثور

مصحة..

حين يكون في حضرتك؟

وكيف أمارس عادتي في الهرب،

وكل الطرق منك تقود إليك؟

للشعور الذي يقربنا،

وللأسئلة التي تربكنا!

تنتهك ثباتنا،

أستسلم

وأتأرجح كبندول الساعة،

لا أنا أبلغ المستقر،

ولا أنا أملك المفر.

أنا الذي ظننت الحب ضعفاً،

فإذا بي في ضعفي أمامك أجد قوتي،

وفي هزيمتي بين يديك أعلن صحوتي،

كأننا خلقنا لنكون نقيضين لا يجتمعان،

فإذا بنا روحان في جسدٍ يصطرعان.

أخبريني يا سيدة الحيرة..

كيف يصير دفؤك برداً يحرقني؟

مصحة..

وكيف يغدو بردك ناراً تغرقني؟

هو طباقٌ يعجز علماء اللغة،

وجناسٌ يفسد منطق الفلاسفة،

فأنت الداء الذي أرفض منه الشفاء،

وأنت الدواء الذي أخشى منه البراء.

تمادي في دلالك..

وأمطريني بغيوم قسوتك الحانية،

فلا نجاة لي إلا بالغرق في تفاصيلك،

ولا حرية لي إلا في قيود منافيك،

ها أنا أقف عند عتبات الجنون بك..

أقرب مما ينبغي..

وأبعد من أن أنجو منك..

إلى أن يفنى نبضي..

فلا مفر منك.. إلا إليك.

فتنة..

يا خمرة الألباب،

يا فاتنة الجمال،

وفتنة الغي،

ومجرمة العيون،

يا جميلة المحيا،

وبهية التكوين،

يا سكرة الأرواح في محراب الاغتراب،

بك أموت شوقاً وبك أحيا،

وفيك أشقى عشقاً وفيك أسعى،

أنت النور في ديجور العتمات،

وأنت النار في جنات الخلوات،

تأسرين العقل بالحسن،

وتبثين الوجد في الهزل والجد،

يا منبع الشهد،

ويا قاطعة العهد،

أرنو إلى عينيك

كما يرنو الغريق إلى طوق النجاة،

فتنة..

فأرى فيهما المهد واللحد،

وأرى فيهما الممات والحياة،

يا قبلة العشاق عند كل بابٍ،

ويا سؤالاً مستعصياً على كل جوابٍ،

أسلمت إلى يديك خيوط أمري،

وضاع في طيات حسنك ربيع عمري،

السيف في لحاظك مسلولٌ،

والقلب في رحابك مقتولٌ،

عقلي فيك حاضرٌ وغائبٌ،

وطرفي إلى سحرك ساهٍ وراغبٌ،

علمت السحر لأعتى السواحر،

ونثرت العطر في عمق الدياجر،

فكنت الغاية والراية،

ظمآن أنا، وأنت المورد،

وبردان أنا، وأنت الموقد،

تجمعين الضد بالضد في التكوين،

كالنار تسكن في ماء الورد بالشرايين،

فتنة..

يا جميلة الروح،

ويا بلسم الجروح،

كم فيك من حسنٍ خفي يبوح،

وكم فيك من سر عصي يلوح،

سافرت إلى دنياك بلا زادٍ،

سوى شوقٍ جارفٍ يطوي البيداء،

فوجدت فيك الداء والدواء،

ووجدت فيك الصبح والمساء،

يا خمرةً لا تفنى بطول السنين،

ويا لحناً به أغنى عن العالمين،

فأنا في لوعتي محترقٌ بلهيبك،

وغريقٌ في نحيبك، تاه في متاهات عينيك طريقي،

يا بهجة الحي، ويا سر الغي،

اسقيني من كأسك حتى أرتوي،

ودعيني أذوب في أنفاسك حتى أنطوي،

فلا حياة لي دونك،

ولا ممات لي سوى على أعتاب جنونك.

أؤمن بك..

أؤمن بك..

إيماناً يكفر بالمجاز،

ويصلب لغة الاستعارة!

هكذا..

عرياناً من كل تشبيهٍ،

ومكتسياً بكل يقينٍ..

يقينٌ يجعل الشك يخاف من نفسه،

وحقيقةٌ تسخر من خيال الكلمات.

فقط..

أؤمن بأنك الفتاة..

التي أوقفت ركض الأيام،

لتسير نبض وجداني..

التي جمعت نقيضين في ابتسامةٍ،

فأحالت حربي إلى سلامٍ،

وسلامي إلى ثورةٍ عارمةٍ.

أود أن أقضي معك عمري..

لا بل أود أن أقضي "على" عمري معك!

أؤمن بك..

أن أقتل في حضرتك كل ماضي،

وأحيي في مستقبلك رفاتي..

أن أفني أيامي في خلودك،

أخلد في فناء لحظاتك.

أخسر العالم كله لأكسبك،

وأكسبك لأربح ضياعي السعيد في تفاصيلك.

تطفئين منطق العقل، لتشعلي جنون العاطفة..

وتسلبينني إرادتي، لأجد في أسرك حريتي.

دون زخارف اللغة.. ودون حيل الكلام..

أنت النور الذي يفضح الأشياء،

والوطن الذي أهرب إليه من كل المنافي..

إلى ذلك الملاذ الأخير في قلبك.

أؤمن بك..

ككافرٍ تاب في محراب عينيك،

ولم يعرف من بعدها قبلةً..

سواك!

ولأني ..

أنت – لأني أحبك – لن تكبري،

ولن تمسك الشيخوخة بقرنٍ؛

فخلقت للإزهار دهراً،

وللبهاء سرمداً لا يذبل.

طفلةً تضج صباً ومرحاً،

وقطعة سكرٍ ذابت على أشهى شفتين،

وآية سحرٍ تلتهي بها لغة العينين.

منذ فجر الشغف،

اتخذت من إخضرار عينيك واحةً،

وسجادةً، ومحراباً،

فصلى الليل فيهما قبل أن يفتح الفجر بابه.

ومن تورد خديك نبعاً كوثرياً

أروي به ظمأ أيامي وآهاتي.

غزلت من لون الكستناء ضفائرك،

بين سطوري ومحابري،

وتوجتك سيدةً مطلقةً على عرش النساء،

وأميرةً تتربع عرش الحسن كل صباحٍ ومساءٍ.

ولأني ..

شيدت صرحك من أنقى الجواهر،

وزينت تاجك بفريد المفاخر.

في حضرتك،

توقفت عقارب الزمان في ذروة الربيع،

كي تستمري في الإزهار والبهاء،

وتتبددي كالضوء في عتمة الأشياء؛

فيبدأ عمري –أنا – من تفتح نرجسةٍ

تغازل سحر طرفك الخجول.

ومن أكليلةٍ تغتسل على شفاهٍ

أرق شذاةً من عنبر الحقول.

يا قامةً.. خيلٌ عربيةٌ أصيلةٌ،

وأنوثةً طاغيةً تختزل ربيع النساء!

في خد وردي عطرٍ

باتت فتنةً ذنباً يستوجب الاستغفار،

وجريمة عشقٍ يعجز عنها الاعتذار.

في نبرتك همس نوافير تهدد الروح،

وفي بوحك بلسمٌ يشفي عميق الجروح.

ولأني ..

في حضورك يقرأ العمر بسملته الأولى،

وتتوسل إليك الأمنيات أن تعبري.

لا تخشي نزق البحر وعنفوان أمواجه،

ولا تخافي غضب اليم وهياجه؛

فذراعاي طوق نجاتك،

وملاذك في صحوك وسباتك.

وهنا – في كل زاويةٍ –

يعبق الحب،

وحبات الهال تتضرع لعطرك أن يمطر.

انتثري زنابقك،

وأطلي كقمرٍ من شرفات المنى،

وأعيدي النبض لمدني الخاوية

بسحر شامتك الغافية على خدك الأيسر.

متبخترةً بفستانك الأحمر

الذي يجر خلفه عبق الزيزفون،

ويوقظ في القلوب مكامن الشجون.

أكتبك – أنا – بحروفٍ معجونةٍ بانتعاش النعناع،

ولأني ..

وبجنونٍ لم يذق كأسه في الهوى عاشقٌ قبلي.

وحين أقف أمام عظمتك،

أبصر كل الأزمنة السابقة عمياء،

وكل قصص الغرام باهتةً بكماء.

لا تحدثيني عن قيسٍ وليلى؛

فأنا مسكونٌ بك حد الموت والحلول.

وكل أساطير العشق القديمة

ذبلت أزهارها أمام خلود يقيننا،

وتاهت مساراتها أمام عظيم حنيننا.

لو أبصرنا قيسٌ لفر هارباً من قصائده،

ولتبرأ العشاق الأوائل من حكاياتهم

أمام سطوة هذا الحضور.

هذا زمانك – أنت وحدك –

لن تملأه أنثى غيرك،

ولن تحيط به قوافي الشعر مهما تنوعت.

استعضت عن كل خيول الملاحم بنشوتي بك؛

تلك النشوة الممزوجة بأصالة الأرض،

ولأني ..

بإخضرار القات،

ودفء القهوة الشقراء،

ولاذع الزنجبيل واليانسون.

هذه الحروف – لك خالصةٌ –

لا تقاسمك فيها سلمى، ولا تتوسدها ميسون.

اسمك يلمع في دياجي ليلي كبرقٍ مطلي بالنور.

ورغم كل الوجوه التي تعبر بابي،

لم يفتن قلبي بسواك.

ألقيت بكل أحلامي في طوفان حبك،

وغرقت فيه طوعاً – كما غرق فرعون في اليم كرهاً.

فلا تخافي على هذا القلب يا سيدتي؛

فرغم هشاشته أمام جدران الليل الموحشة،

هو – في النهاية – بلادك الحصينة.

وما من وطنٍ أعظم وأكثر أماناً من قلبٍ

خزن هواك في كل زاويةٍ من زواياه،

إلى أن يفنى الزمان

وتتلاشى روحي.

هي أنثى..

تأبى ابتسامتها الزهرية أن تغادر شفتيها،

تشبه في رقتها سرباً من البجع،

يغتسل بقطرات اللؤلؤ،

ويلهو بحبات المطر.

يا للترف في الجمال!

تجمع بين ضحكةٍ تحيي خراب الروح،

وبحةٍ تترك في القلب أعمق الجروح،

تسرقني مني في قمة تعقلي،

وتضحكني في عمق ثبوري،

كأنها الخليط السحري،

الذي يعيد الطفولة لكهلٍ،

أجد في عذوبة صوتها غاية ارتوائي،

وفي ملامحها شبعي لجوعي.

حياؤها يتراقص سحراً في عينيها،

كلوحةٍ فريدةٍ لم يبلل ريشتها سوى سحر الخفر.

تنساب من أغنية "مذهلة"،

فهي الغامضة الواضحة،

هي أنثى..

أقف أمامها بلهفةٍ تسرق نبضي،

تلملمني وتبعثر بعضي،

هي الوصل الذي يصلبني بحرارة الانتظار،

والفصل الذي يفصلني عن مدارات القرار،

تتسلل المشاعر في حضرتها،

إلى أعماقي دون استئذانٍ،

وتتجذر في أوردتي بلا حسبانٍ.

أعوامٌ..

وأنا غريقٌ في بحر مقلتيها،

اللتان تحاكيان القهوة اليمنية،

أرتشف عذوبة تأملهما،

وأثمل من بحة صوتها،

الذي كأنه هاجر إلي من أوطان البلابل،

وأعشاش اللقلق.

أعوامٌ.. أم لمحة بصرٍ؟

والزمان يتبخر إجلالاً في حضرتها،

والعمر يركض هلعاً في غيبتها،

هي أنثى..

في عينيها يغرق أمهر السباحين،

وكيف وأنا لا أجيد السباحة؟

هل سيكون فيهما هلاكي أم سر حياتي؟

ترنمي يا "مذهلة"،

فالممكن في حضرتك ضربٌ من المحال،

والمحال واقعٌ يفوق الخيال.

آهٍ من ترف هذا الصوت!

كيف يرميني في دوامةٍ من النشوة،

فأتسمر في مكاني لأشعر به ينساب في صدري كنسيمٍ عليلٍ..

بنغمته البنفسجية الناعمة،

وحلاوته التي تقطر بشهد الخوخ والأناناس.

يسكب في مسامعي زمهرير الشوق،

حافةً من الشهد اللذيذ،

ذهل العقل وتمردت الشرايين،

وحين كنت أكابر..

وأدعي أنني محصنٌ ضد سحر نبرتها،

وضد تغريد العصافير وهديل الحمام المسكون في حروفها..

هي أنثى..

كنت أشعر بارتجافةٍ لذيذةٍ تسري في أناملي،

كأنها تحقن أوردتي بخلاصة العشق.

يا لانتصاراتٍ رغم أنفي!

كنت أتصنع الكبرياء،

فإذا بي أصغر من ذرة هواءٍ،

وأظهر الجفاء فإذا بقلبي يتسول اللقاء،

فالادعاء في حضورها هو قمة الصدق المعكوس،

والصلابة معها هي هشاشة الروح والنفوس،

أقسم ألا ألين لها،

فتطحنني برقتها إلى أن أتلاشى كالدخان.

أقف مشدوهاً أمام أنثى تفوق كل الخيالات،

مغلفةً بالرقة كقطعة حلوى نادرة المذاق..

حتى لتبدو نساء الكون مجرد انعكاسٍ لقهوة عينيها،

وانتعاش أنفاسها،

وعطر أصابعها المكسوة بزرقة الفيروز.

هي الكل المجسد في فردٍ واحدٍ،

وهي الفرد المتفرد،

هي أنثى..

إذا أقبلت.. أدبر العالم بأسره خلفها،

تختزل الأكوان في نظرة رضاً،

لذا.. أرجوك،

خذيني في حديثٍ طويلٍ عن احترار الأرض،

وعن طيور الفلامنجو التي توشك على الزوال،

فليلنا ليس بطويلٍ..

فخذيني..

إلى أن يفقد التاريخ ذاكرته،

والمكان بوصلته،

إلى أن أجدني غارقاً فيك،

ولا مفر منك إلا.. إليك.

"وتنتهي الحروف هنا لتبدأ

حقيقتنا؛ حقيقة أن لا نجاة من هذا

الحب إلا بالغرق في تفاصيله، ولا

حرية فيه إلا في قيود منافيه،

حتى يفنى النبض وتتلاشى

المسافات."

أسامة قائد عبدالله